الكحل في عين الرمدة خسارة

أحمد العطافي

يقال في الأمثال الشعبية القديمة"الكحل في عين الرمدة خسارة" وهو مثل يحمل من البلاغة والتجربة ما لا يمكن تجاهله ويستخدم في سياقات عديدة للدلالة على أن العطاء في غير موضعه هو نوع من الخسارة وأحيانا إهانة للقيمة .

عين الرمدة .. ترمز إلى العين المصابة او العمياء التي لا تستفيد من الزينة فالكحل فيها لا يزيدها جمالا إنما قد يزيدها ضررا وهنا تكون الخسارة مضاعفة لا جمال تحقق ولا راحة أُعطيت .

وينطبق هذا المعنى على العلاقات الإنسانية حين يمنح العطاء والاهتمام لمن لا يقدّر أو حين تبذل المشاعر في قلوب مغلقة أو تعطى الفرص لمن لا يستحق . ليس المقصود من هذا المثل أن يمنع الإنسان الخير عن الناس بل أن يتحلى بالحكمة في توجيه عطائه وأن يعرف مواضع الجمال الحقيقي ومتى يكون الكحل زينة ومتى يكون خسارة .

إنه تذكير بضرورة التمييز بين من يستحق ومن لا يستحق فليس كل من طلب الكحل يستحقه ولا كل عين تصلح لأن تُزين فبعض العيون لا يجدي معها إلا العلاج ليس التجميل ! ومن هذا المنطلق يحمل المثل رسالة تربوية واجتماعية مهمة فالحياة مليئة بالمواقف التي تتطلب منا أن نوازن بين الكرم والتقدير وبين العطاء الواعي والعطاء العشوائي .

فليس كل جهد يبذل يُقدر وليس كل من نحسن إليه يرد الجميل لذلك من الحكمة أن نتعلم كيف نضع المعروف في أهله وكيف نحفظ طاقتنا ومشاعرنا من الهدر فكما أن الكحل زينة تزيد من جمال العين السليمة فإن الاحترام والاهتمام والعطاء لا يزيدون من لا يقدر شيئا فأحيانا قد يتحول الإحسان الزائد إلى عبء على صاحبه وإلى استهانة من الطرف الآخر .

ختاما "الكحل في عين الرمدة خسارة" ليس دعوة للبخل أو التوقف عن الإحسان بقدر ماهو درس في الإدراك والتمييز ووقفة للتأمل قبل أن نبذل ما نملك فالعطاء الناضج هو الذي يثمر أما العطاء الغير المدروس فقد يكون مجرد خسارة وإن بدا جميلا كالكحل .

للتواصل / a-attafi@hotmail.com